الفصل الحادى عشر

النموذج الحادى عشر
التربية من أجل تأكيد النشاط الذاتى للإنسان
من التراث الأوروبى فى القرن التاسع عشر الميلادى

الفصل الحادى عشر
النموذج الحادى عشر
التربية من أجل تأكيد النشاط الذاتى للإنسان
من التراث الأوروبى فى القرن التاسع عشر الميلادى

مقدمة :

بنهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر الميلادى . ظهر فى الأفق التربوى تكامل وتضامن لحركات تربوية ثلاث هى : الحركة النفسية والحركة العلمية والحركة الاجتماعية بحيث يصعب الفصل بينهم . فقد اسهمت الحركة النفسية فى طرق التدريس . وأثرت الحركة العلمية فى مادة الدراسة . بينما تطلعت الحركة الاجتماعية فى المناهج والخطط الدراسية وفلسفتها .

يرى قادة الحركة النفسية أن التربية ما هى إلا عملية نمو للفرد ويتناولون بحوثهم التربوية بطريق دراسة مظاهر النشاط العقلى . ويؤكدون أهمية الطريقة من حيث أنها عملية نمو العقل ومن حيث أنها اسلوب خاص يتبع فى التدريس فى فصول الدراسة .

بينما يرى أصحاب الحركة العلمية فى التربية أن المواد ذات القيمة فى التربية هى تلك المواد التى تتطلبها الحياة الحديثة .

أما الاجتماعيون فنظروا إلى التربية على أنها وسيلة لبقاء الجماعة ونموها وتناولوا البحوث التربوية بطريق دراسة بناء المجتمع ومظاهر النشاط والمطالب الاجتماعية . وهدف التربية فى نظرهم هو إعداد الفرد للمشاركة الناجحة فى حياة زملائه الاقتصادية والسياسية والاجتماعية . ومع ذلك فكل حركة من هذه الحركات قد أثرت على الطريقة . وعلى الهدف

وعلى التنظيم . وعلى المادة ويمكن إيجاز فصل كل حركة من خـــلال آراء وأفكار بعض أصحابها .

١- جوهان هنرش بستالوتزى (١٧٤٦ – ١٨٢٧م). ولد فى زيورخ مات أبوه فتعهدت أمه بالرعاية حتى أضحى رجلا . حزم أمره فى البدايـــة أن ينظم إلى رجال الدين . لكنه نبذ هذه الفكـــرة وتهيـــأ لأن يـــصبح محاميا وما لبث أن فرد العمل بالزراعة وقد وفر له هذا العمل أن يحيا حياة تتفق ومثل الحركة الطبيعية التى نادى بها روسو كما حـــاول أن يربى طفله الوحيد وتنشئته بما نادى به روسو فى كتابه اميل ونتج عن ذلك أبراز عيوب تربية اميل كما أوردها روسو ودون ذلك فى كتـــاب له اسماه مذكرات والد وهو مثال عملى لدراسة متعمقـــة فـــى نفـــسية الطفل .

وقبل الاستطراد فى أبراز آثار بستالوتزى فى التربية وطرقها ينبغى إيجاز نظم التربية حينذاك حتى تتضح أهمية اصـــلاحاته التربويـــة ويكفـــى تصوير هذه النظم من خلال الوصف التالى :

مدرسة برجدورن التى عمل بها بستالوتزى كمساعد مدرس لبضعة أشهر كان ناظرها اسكافى القرية الجاهل الذى اتخذ من حانوته مدرسة وفيها كان يقوم بنفسه باصلاح الأحذية .

عمل بالتدريس كل من لديه متسع من الوقت أو من لم يفلح فى أيـــة مهنة لذا فقد عمل كمدرس لكل من حارس القرية والبناء وصانع الحيـــال . والجندى المتقاعد والمانس.

اقتصر التعليم على دراسة مادة أو مادتين فقط . وكان التعليم يتم بطريقة آلية . كما كان الدارس يتدرب على الحفظ عن ظهر قلب .

ولما كان المذهب الطبيعى ينادى بأن البيئة تشكل شخصية الإنسان وأنه كلما اقتربت ظروف البيئة من الأحوال الطبيعية كلما طبعت شخصية الفرد على الفضائل ونمت وارتقت فأن بستالوتزى أقبل على تجربة من شأنها تطبيق هذه المبادئ ، وتتلخص فى الآتى :

أنشأ ملجأ خيرى ضم أطفالا يتامى ومتسلوين فى نيوهوف عام ١٧٨٠م وفيه كان يعلمهم أعمال الزراعة . وبعض الحرف وغزل القطن ونسجه والقراءة والمطالعة وحفظ بعض النصوص الأدبية . وحل بعض المسائل الحسابية . بهدف أن يربط بين تعلم الحرفة والنشاط الفعلى . ويمكن القول أن هذه كانت أول مدرسة صناعية . لكنها واجهت الفشل بسبب عداء الآباء لبستالوتزى ولكون الأطفال أنفسهم يمثلون حثالة المجتمع الأوروبى حينذاك .

وخلال ثمانية عشر عاما أعقبت فشله هذا عمل بالأدب الذى يدور حول الإصلاح الاجتماعى وألف كتابا اسماه تأملات راهب ساعة المساء . ضم حوالى ١٨٠ مقترحا تربويا . كما ألف عام ١٧٨١م كتابه ليونارد وجرترود وتدور أحداثه فى قرية بوناد Bonad وجرترود امرأة ساذجة جاهلة أمية لكنها مثابرة مخلصة حنونة استطاعت بصفتها هذه انقاذ زوجها ليونارد من الكسل والسكر . واستطاعت كذلك أن تعلم أطفال قريتها من خلال بصيرتها النافذة وعقليتها النامية . وتغلغلت آراء جرترود فى نفوس

جيرانها رجالاً ونساءا وأطفالاً وكباراً ومن خلال أساليبها الفطرية سرت روح الإصلاح فى القرية .

وفى عام ١٧٩٨م أدرك بستالوتزى أى أفكاره النظرية لن تكون ذات قيمة ما لم يدعمها بالتجارب العملية . لذا نجده يقرر العمل بالتدريس فى قرية ستانزا حيث قام بتربية أبناء الجنود الذين ذبحهم الفرنسيون فى سويسرا. فعلمهم الصناعات اليدوية مصحوبة بالنشاط التربوى، واكسابهم خبرة عن طريق اللعب . ومن خلال تجربته تعرف على دوافع التعلم وقوانين النمو .

وفى برجدورف درس لأطفال يتراوح أعمارهم بين سن الخامسة والثامنة متبعا مبادئ علم النفس . والحق بالمدرسة فصلا لتدريب وإعداد المعلمين إلا أن صعوبات كثيرة حالت دون استمراره .

وفى عام ١٨٠١م أصدر كتابه كيف تعلم جرترود أطفالها محاولا فيه توضيح الحلول لمشكلات التعليم فى عصره من حيث الهدف والطرق المستخدمة .

تمثلت محاولات بستالوتزى فى تحليل المعرفة إلى عناصرها الأولية المبسطة بحيث يمكنها من اجتذاب اهتمام الطفل وهذه العناصر الأولية يمكن الحصول عليها لا فى شكلها ولكن فى معناها عن طريق الملاحظة أو التأثير الحسى (الإلهام) ثم ننمى هذه الملاحظة بعد ذلك بالقيام بسلسلة من الامتيازات المتدرجة فى صعوبتها . ومثل هذه الاختبارات تعتمد مبدئيا على دراسة الأشياء قبل دراسة الكلمات . فدروس الأشياء هى جوهر هذه الطريقة. ولكن درس الأشياء لم يكن الغرض منه هو مجرد الحصول على

المعلومات أو على تنمية قوة الملاحظة كما جرت المـــادة . بـــل أن فائدتـــه الحقيقية هى أنه أساس التطور الفعلى الكامل للطفل . فتدريب الملاحظة عند بستالوتزى لا يعدو أن يكون بداية فحسب .

وبذلك تخلصت المدرسة من جميع العمليات التى كانت ترتكز أساسا على الذاكرة من أجل التدريب على الملاحظة الحية . ففى تعلم اللغات حلت طريقة المقاطع الصوتية محل طريقة الهجاء والقراءة . وفى كل من الكتابـــة والرسم يبدأ الطفل بالمبادئ، الأولية البسيطة كرســـم الخطـــوط المـــستقيمة والزوايا والمنحنيات ثم بعد ذلك يقوم بالحركات الزكيـــة والمعقـــدة . وفـــى الحساب يتعلم العلاقات العددية وخواصها ونسبها لا مجرد معرفتها وكتابتها.

كما اتخذت الجغرافيا أساسا للدراسات الطبيعية . ويمكن إيجاز آراء بستالوتزى التربوية على نحو ما أوردها أحد تلاميذه فقد تربية على النحـــو التالى :

١- الملاحظة أساس عملية التعلم .

٢- تربط دراسة اللغة بالملاحظة أى شئ من الأشياء أو مادة من المواد .

٣- لا مناقشة ولا نقد من التلاميذ أثناء الدرس .

٤- الانتقال تدريجيا من السهل إلى الصعب .

٥- يعطى وقت كافى لفهم كل عنصر من عناصر الدرس .

٦- هدف التعليم التنمية لا الإلقاء .

٧- يجب أن يحترم المعلم شخصيته المميزة .

٨- الهدف الأساسى للتعليم تنمية الشخصية وليس حشو العقل بالمعارف .

٩- يجب أن ترتبط المعرفة بالقوة والتعلم بالمهارة .

١٠- المحبة أساس العلاقة بين المعلم والمتعلم ومحور النظام المدرسى .

١١- يجب أن يكون للتعليم منزلة ثانوية بالنسبة للهدف الأساسى من التربية.

لقد زود بستالوتزى التربية بفكرة أن العمل التربوى المنتج يتوقف على معرفة حقيقية بطبيعة المتعلم . وعلى شعور بالعطف التام نحوه . فالتربية فى نظره هى نمو من الباطن وليست هى الزيادة التى تأتى من الخارج . فهذا النمو يجب أن يكون نتيجة نشاط ذاتى للطفل، أو تجاربه، ومن هنا وجب أن تكون ذوات الأشياء لا نماذجها هى أساس طريقة التعلم . وأن يكون الإدراك الحسى : العمليات المرتبطة بالذات هى أساس عملية التدريب .

يوحنا فردريك هربارت (١٧٧٦ - ١٨٤١م) وهو ألمانى ولد بمدينة أولدنبيرح ودرس الفلسفة بجامعة يينا عمل كأستاذ للفلسفة بجامعة جوتنجن وكونجزبيرج . أنشأ فى الأخيرة ندوته التربوية . والحق بها مدرسة للتربية العملية لتدريب المعلمين . وتعتبر هذه أولى النماذج الجامعية من حيث التعلم والتجارب فى دراسة علم التربية . كما اكتسب هربارت خبرته التربوية من تفرغه فى سن الحادية والعشرين من عمره لتربية ثلاثة أخوه لمدة ثلاث سنوات استطاع أثناءها صياغة الكثير من مبادئه التربوية . وقد أشار إلى أن ما يجب على المدرس عمله هو أن يحصر جهوده فى البحث عن المعارف التى تأتى إلى العقل من مصدرين أساسيين الأول هو الخبرة أو الاحتكاك بالطبيعة . والثانى التحادث أو الاحتكاك بالمجتمع . وعلى المعلم بعد ذلك تنمية المعرفة بالخبرة والمشاركة عن طريق الاختلاط والاحتكاك

ويقول : " أن العقل ينمو بطريق التجربة والاستطلاع أو بطريق الأفكار الناتجة عن الخبرة والعوامل الخارجية تؤثر فى النفس البشرية فتجعلها خيرة أو شريرة . وينتج عن ذلك نتيجتان مترابطتان فى التربية هما أن أهم خاصية للعقل هى قدرته على ربط الأفكار بعضها ببعض وأن العمليات العقلية التى تحدد الوسيلة لربط الأفكار . هى القوة الفعالة فى تشكيل العقل والأخلاق .

وبذلك يكون هربارت قد أنكر جميع الدوافع الفطرية العقلية . لذا فوظيفة المعلم تتلخص فى تلقين المعلومات . وعليه أن يعرف شيئا من معلومات الطفل السابقة وميوله حتى يمكنه استغلالها . وعليه اختيار مادته مراعيا الأهداف النهائية . وكذا مدارك الأطفال . وعليه تنظيم مادته مراعيا الخبرات السابقة للتلاميذ .

والترابط فى نظر هربارت هو تمثيل الأفكار الجديدة بمعرنة أفكار سبق الحصول عليها . كما عارض هربارت مبدأ الجبر والحرية التامة للأرادة . كذا فالشخصية فى نظره لا يتم تشكيلها بقوى خارجية فالإرادة فى نظره هى وليدة الخبرة والتربية عمل أخلاقى . والعمل الوحيد للتربية يكمن فى الأخلاق أو الفضيلة التى تنتج بعد سلسلة من الخبرات . ويمكن إيجاز آراء هربارت فيما يتعلق بطرق التدريس فى الآتى :

١- **الإعداد أو التحضير** : وهو أن يستدعى إلى العقل الأفكار القديمة المرتبطة تمام الارتباط بالأفكار الجديدة التى يراد توصيلها للعقل . وينظم هذه الأفكار بشكل يشرح معنى الأفكار الجديدة ويعمل على تعميق الأثر الذى تحدثه فى العقل .

٢- **العرض الفعلى** : وفيه ترتبط الأفكار الجزئية الأساسية بعضها ببعض وتتضح الفكرة العامة .

٣- **الربط** : ويقصد به الصلة الحقيقية بين القديم والحديث .

٤- **التنظيم** : وهى مرحلة تصل الفكرة العامة عما انطوت عليه من أفكار جزئية خاصة . وحينئذ يربط المدرك الكلى العام بطريقة منظمة بالمعلومات السابق الحصول عليها بحيث يتكون من الجميع وحدة حيوية . وهذا العمل من مستلزمات التفكير . ويتطلب التكرار والتعبير اللغوى بصورة محددة وواضحة .

٥- **الطريقة أو التطبيق** : وهذه هى مرحلة التفكير التقدمى للتلميذ أن بها يحقق المدرك العام الذى وصل إليه وذلك عن طريق مظاهر أفكاره بسرعة بمجرد اكتسابها على مظاهر نشاط حياته المحدودة . وبهذه الطريقة تتطور أفكار الطفل وتندمج فى وحدة حياته الفطية الحيوية . ومنها تتضح وتترعرع حياته العملية . وذلك بطريق الإيحاء والتوجيه.

وإلى هربارت يرجع الفضل فى بناء التعليم على أسس علمية فمنهج الدراسة يجب أن يؤسس وينظم على أسس علمية . وهدف التربية يجب أن يكون بناء الأخلاق . ويجب أن يكون الوصول إلى هذا الهدف باتباع طرق علمية. ومناهج دراسية معينة . كما كانت الحركة الهربارتية حركة مبدئية لفلسفة التربية. ومن مبادئها اشتقت الطرق العملية المناسبة لكل زمان ومكان. وتغلغلت آراء هربارت عن الميول والاهتمام بها فى المناهج. كما وجه الأنظار إلى اتجاهات حديثة فى إعداد المعلمين وتدريبهم. كما أن له الفضل فى تقديم طريقة عملية رياضية للبحث التربوى .

٣- فردريك ولهلم أوجست فرويله (١٧٨٢ – ١٨٥٢م) : ولد فى بلدة أوبرفزناخ الالمانية. ماتت أمه وهو فى شهره التاسع من عمره. تزوج أوبه الذى كان قسيسا وانشغل عن تربيته . فتعهده خاله القس الذى شجعه على دراسة الدين. وفى الرابعة عشرة من عمره التحق بوظيفة كتابية فى مصلحة الغابات، ثم عمل كاتب حسابات العقارات كبيرة . ثم مساح للأراضى. ثم مساعدا لأمين متحف برلين للعلوم البيولوجية وفى الثالثة والعشرين من عمره عمل مدرسا فى معهد بستالوتزى فى فرانكفورت. وفى الخامسة والعشرين من عمره صار مربيا خاصا لثلاثة تلاميذ . والتحق فى الجيش عام ١٨١٣ . وفى عام ١٨١٦ أسس المؤسسة الألمانية العامة للتربية فى قرية كيلهو حيث تعهد بتربية خمسة أطفال . وفى عام ١٨٣٧ أنشأ روضة للأطفال بقرية بلاكنبرح . وكان يهدف إلى جعل رياض الأطفال معاهد شعبية إلا أنها لقيت فيما بين عامى ١٨٥١ و ١٨٦١ مقاومة من جانب الحكومة البروسية . وذلك لنزعتها الثورية. وقد سيطرت فكرتان عليه : مثالية غامضة وحب للطفولة . أكد فرويل الناحية الخلفية فى التربية لأنها توجه نشاط الطفل. والتربية خلفية لأنها تعمل على ربط الطفل بالحياة ولأنها هى الكشف عن طبيعة الطفل الباطنية عن طريق العمل . كما يؤكد فرويل على الناحية العملية ويريد أن تنمو القدرة على العمل والتنفيذ بقدر ما تنمو قوة التحصيل والتفكير لأنها تتمشى فى نموها معها .

والمدرسة فى نظرة مكان ينبغى أن يتعلم فيه الإنسان أمور الحياة الهامة كالمبادئ الأساسية للحق والعدل والشخصية الحرة والابتكار . وعلاقة

السبب بالنتيجة ولا يتعلم الطفل كل هذه الأشياء بمجرد العلم بها بل بأن يحيا حياة عملية مطابقة لها . والعمل المدرسى يجب أن يبنى على مبدأ النشاط الذاتى . ويجب أن ينتهى بالتعبير عن الآراء أو المعارف التى يكتسبها الطفل أثناء النشاط أو باستخدام هذه الآراء أو المعارف استخدما عمليا .

ويرى فروبل أن صور التعبير عن طبيعة الطفل ثلاث هى : الحركة أو الإشارة التعبيرية . والغناء واللغة . وضبط الوسائل تمكن الطفل من التعبير عن وجدانه . وآرائه . لذا ينبغى أن ننظم المواد التعليمية وأبرازها فى أشكال مختلفة كاللعب أو النشاط التركيبى والقصصى وما شابه ذلك مما يعمل على مساعدة الطفل .

واحتل اللعب عند فروبل أهمية خاصة فهو يوفر أرقى درجات نمو الطفل لأنه تعبير حر وتلقائى ينبع من الداخل استجابة لندا، الداخل ذاته . وأوضح الرابطة بين نمو الطفل عقليا وبدنيا وخلفيا وبين الألعاب الرياضية .

كان لقيمة اللعب التربوية أهميتها من ناحية النمو الجسمى عند المصريين القدماء واليونانيين القدماء .وفى عصر النهضة ولدى الألمان بصفة خاصة . ولكن الفضل يرجع إلى فروبل فى ابراز قيمته الخلفية والفكرية وجعلها تفوق قيمتها البدنية . وبما أن اللعب ينبع مباشرة من الميول الفطرية للطفل فإنه يمد المربى بالأساس الذى يبنى عليه ما يراه مناسبا من عادات عملية أو وجدانية أو فكرية . ومن ثم يستطيع أن يشرح أو يترجم للطفل نوع الحياة الذى يحاول أن يسبقه عليه . كما يمكنه عن طريق اللعب أن يبرمج الطفل فى عالم العلاقات الاجتماعية الحقيقية . ويلقنه معنى الاستقلال والمساعدة المتبادلة . وأن يمده بفرصة الابتكار . وبدافع الحركة وأن ينميه باعتباره فردا يكون جزءا مستقلا من أجزاء الكل الاجتماعيى .

غير أنه يجب الإشارة إلى ملاحظة هامة وهى : لا ينبغى القول بأن التربية هى اللعب . فتلك فكرة خاطئة وجدت سبيلها إلى كثير من المدارس الحديثة . فاللعب ما هو إلا وسيلة القصد منها أن تكون نقطة بداية ونجعلها غاية فى حد ذاتها . ويشبه اللعب فى أهميته الأشغال اليدوية باعتبارها دافعا يمثل الميل التلقائى الذى يمثله اللعب . وعلى أسس تربوية رفع فروبل . التدريب اليدوى والصناعى وجميع الأعمال الإنسانية إلى المنزلة التى هى بسبيل تبوئها فى التعليم الحديث . وجعل لها هدفا ابتكاريا فعن طريقها يتمكن الطفل من أن ينمى مقدرته العملية ذلك لأن كل نشاط عملى بالنسبة للطفل ليس إلا تعبيرا عن فكرة . أو تحقيقا لهدف وأن فائدة أى موضوع أو أى جزء من المعرفة يدخل المدرسة يتجلى فى الكشف عن مدى استفادة الطفل بها عمليا، ويقول فروبل فى أبراز أهمية تعليم الأشغال اليدوية " أن تعلمها فى المدرسة له غرض أعظم وأعمق من مجرد التدريب الحسى أو نمو المهارة أو التمرين الحسى أو التلقين بطريقة آلية أو اكتساب المهنة أو الحرفة . بل يصبح أبرز صورة للتعبير عن الأفكار وأسلم طريقة لتكوين العادات وتشكيل الأخلاق .

كما ركز أيضا على دراسة مشاهد الطبيعة . فالأشياء التى يحصل عليها الطفل من ارتباطه بالطبيعة تعمل على النمو الأخلاقى والسمو الدينى وتكوين البصرية الروحية .